

محاضرة الدكتور الخياط في 2002/9/18

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه في المرات السابقة بدأنا الحديث في عدد من المقدمات حول لغة القرآن الكريم. من هذه المقدمات تذكر صفات القرآن الكريم التي جاءت في كتاب الله عز وجل أنه قرآن كريم وأنه حلیم وأنه مجید وأنه حكيم وأنه مبين وغير ذلك من الصفات التي نحاول إن شاء الله أن نتمثل كل صفة منها على حدة بالإضافة إلى ذلك تطرقنا إلى موضوع الوحي القرآني والوحي غير القرآني أي الوحي المتلو والوحي غير المتلو وقلنا أن الوحي غير المتلو نفس حجية الوحي المتلو لأن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في عدد من المواضع أهمية هذا الوحي واعتبره مساوياً في حكم الحجية في الوحي المتلو وقد توسعت في هذا تلبية ربما لملاحظة أخينا الدكتور أبو العلا ماضي حين فهم من كلام البعض إخواننا ما يهتم في التركيز على القرآن المتلو فقط وعدم الاعتماد كما ينبغي في السنة الشريفة والأحاديث النبوية الطلقة والمؤلم أن هذا الاتجاه موجوداً وما زال موجوداً وهنالك عدد من الناس الذين يتطرقون إليه ويدعون إليه ويحاولون أن يأتوا بحجج مختلفة والذي فعلته أنني حاولت أن آتي ببعض الأدلة التي أعتقدنا قليلاً من العلماء تطرقوا إليها فيما يتعلق بإثبات هذه الحجية من آيات في كتاب الله عز وجل. وأعتقد أنها وزعت اليوم في القسم الثاني من المحاضرات، وقد أعود إلى هذا المثال أضربه بعد قليل.

الأمر الآخر الذي أريد أن أشير إليه الآن، هو أن هذا القرآن قد يُسر للذكر الله سبحانه وتعالى يقول ولقد يسرنا القرآن للذكر إذن لا مجال لأي إنسان أن يشك في أن القرآن ميسراً للذكر من قبل ربنا عز وجل آية أخرى تقول فإنما يسرناه بلسانك يعني هذا القرآن ميسر بلسان الذي كان يتحدث به النبي ﷺ فإذا أردنا أن نفهم هذا القرآن فهماً صحيحاً فعلينا أن نجرد عقولنا وأفهامنا من كل المفاهيم والمصطلحات التي طرأت بعد ذلك وأن يعود إلى عصر الرسالة فنفهم باللغة التي نزل بها القرآن على نبينا محمد ﷺ لأن كثيراً من الكلمات مع الأسف ولو أن هذا من طبيعة اللغات شبيبت وخلقت بكثير من المعاني الطارئة عليها وذلك أدى إلى أن تلتبس في سواها وأن يحاول تصفية هذه الأشياء في هذا الأصل والمعاني الأخرى والعودة إلى الأصل حينما نريد أن نفهم القرآن الكريم ثم حينما نريد أن نفهم حديث الرسول ﷺ إنما ينطبق على القرآن الكريم ينطبق على الحديث الشريف لأن النبي ﷺ كان يتحدث بلسان الله سبحانه وتعالى وقال سبحانه وتعالى إنما يسرناه بلسانك فإذن هذا هو لسان النبي ﷺ ولسان القرآن الكريم ولذلك فينبغي أن نفهم أحاديث النبي ﷺ كما نزل في لغة القرآن وأن نفهم القرآن في اللغة التي كان يتحدث بها رسول الله ﷺ وأنا أريد أن أتحدث في هذه الأمسية أن أضرب بعض الأمثلة البسيطة من أجل أن أبين بالضبط ما أريد أن أتحدث عنه. ثم بعد ذلك يمكن أن نتطرق إلى بعض هذه الموضوعات لذكرها بالتفصيل.

اللغة العربية فيها بعض الألفاظ المتقاربة أو المتشابهة لكن قليلة فيها الألفاظ التي تسمى المترادفة لأن المترادفة تعبر عن كلمتان في لفظ واحد هذا قليل جداً في اللغة العربية أصلاً اللغة العربية تعرف بالتحديد ولذلك فهي تهتم بالفوارق الصغيرة بين الكلمات على سبيل المثال الري والشك هاتان كلمتان قد يخطر ببال الإنسان يقول ما هو الري هو الشك لا الري فيه حركة واضطراب كما نفهم ذلك أيضاً من آيات الكتاب الحكيم كما نفهم أيضاً من النبي ﷺ مرّ بصحبه بغبي حاقف نائم وهو ملئ على نفسه فقال لا تريبون يعني لا تؤدوا إلى أي تحرك أو تزعجوه بأي شكل من الأشكال إذن الري فيه حركة واضطراب الإنسان يتردد في مرة أو أكثر الشك ليس كذلك هو غير متيقن لكن ليس فيه نفس صفة الري إذن هاتان الكلمتان على سبيل المثال يظن كثير من الناس أنهما مترادفتان وليس مترادفتان حقيقة ما هناك فارق بين هذه الكلمة وبين هذه الكلمة أخونا الشيخ أحمد القبيسي له برنامج في قناة دبي عنوانه الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم. ويحاول دائماً أن يأتي بمجموعات من الأسر الكينية ويبين الحوار الدقيق بين هذه الكلمات الدقيقة يعني الله يفتح عليه هناك فتوحات جميلة جداً وهي تبين كثيراً من المعاني الآيات الجميلة التي يرجع إليها ويسترشد بها ويستشهد بها. إذن اللغة العربية المترادف فيها قليل أما في القرآن فالمترادف كما يقول الإمام ابن تيمية إما نادر وإما معدوم والذي يميل إليه أنه معدوم ويوجد في القرآن كلمة معدوم ولكن يوجد في المقابل مشترك يعني كلمة لها عدة معاني والقرآن يستعمل يعني على سبيل المثال العين تستعمل بمعنى باصرة وتستعمل بمعنى نبع الماء وتستعمل

بمعنى ذات الشيء وتستعمل بمعنى ثقب الإبرة كل هذه. فالقرآن الكريم استعملت العين
بمعنى الباصرة من أعين لا يبصرون بها واستعملت عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً
فأجابت به اثنتي عشرة عيناً إذن تناولت الكلمة في أكثر من معنى وهي نفس الكلمة كذلك كلمة
أصحاب النار على سبيل المثال هم الناس الذين قضى عليهم بعذاب النار أما الملائكة الذين
يحرصون النار هم أيضاً سموا القرآن الكريم أصحاب النار وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة.
فإن هذه الكلمة من المشترك استعملت مرة في معنى ومرة في معنى آخر بعيد عنه جداً وهناك
أمثلة عديدة سأذكرها في بداية عهد وآخر ولكن يوجد مشترك وسوف نلاحظ أن كثير من
الكلمات قد يكون لها أكثر من معنى هذه الكلمات التي لها أكثر من معنى بحسب ما يفهمها الناس
الآن قد يتغير فهمهم للآية القرآنية ومن هنا أدى بعض الاختلاف الذي نشاهده في تفسير القرآن
الكريم وهو أمر طبيعي ومقبول ولا حرج فيه. الأمر الذي فيه حرج أن يحاول الإنسان أن
يقصر القرآن الكريم على معنى موجود في ذهنه هو في ذهنه يحاول أن يأتي بالآيات ويلوي
أعناقها حتى تصبح بشكل يظن أنها تستطيع أن تقوي حجتها هذا أمر غير مقبول وهو أمر
خطر. الأمر الآخر هو أن يحاول الإنسان الإصرار على معنى معين قد يكون له حجة في مكان
ما لكن في آخر لا تكون له فيه مثل هذه الحجة. ما هي أفضل طريقة حتى نستطيع فهم هذا
الكتاب الكريم بطبيعة الحال أفضل الشيء أن يفسر القرآن بالقرآن إذا كان هناك كلمة موجودة
في القرآن الكريم لم نعرف معناها وأردنا أن نعرف هذا المعنى ووجدنا هذه الكلمة في مكان
آخر وفي مثل هذا المعنى وأفضل شيء أن نستفيد من هذا المعنى على سبيل المثال قد أفلح

المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ما معنى الخشوع لو رجعنا في آية أخرى لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى يقول وترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا الماء عليها فاهتزت وربت والذي يريد أن يستفيد من هذه الآية يقول إن عملية حركة هذا النبات عندما يبدأ في الحركة وحينما يبدأ في خلاف الوضع الأول هو أنه يتحرك فإذا معنى ذلك أن عكس الخشوع هو الحركة والتعامل إذن الخشوع هو التذلل والسكون بهذا يفهم الإمام ابن تيمية وأعتقد أن هذا مفهوم جميل جداً يفهم الخشوع بهذا المعنى لأنه سكون الحركة والتذلل من قوى الله عز وجل وخلاف الخشوع في الصلاة هو أن يكثر الإنسان من الحركة ومع الأسف نلاحظ أن عند بعض من ينادون بالتزام السنة نلاحظ أن كل أو أكثر حركاتهم تأتي وقت الصلاة فيعدل من ملابسه ويحرك أنفه وما إلى ذلك هذه الحركات كلها تخالف الخشوع فهذه الحركات كلها تخالف الخشوع الأصل في الخشوع أن يكون الإنسان ساكناً هادئاً لأن الحركات تشتت والأمر الآخر هو هذا التذلل والتضامن هذا هو الخشوع إذن هنا نستطيع أن نفهم معنى الخشوع من آية في كتاب الله تدلنا على معنى الخشوع.

أتتني بعض الأسئلة التي أحب أن أذكرها سواء كانت في القرآن الكريم أو في الأحاديث الشريفة ولكن قبلها أريد أن أذكر ما ذكره الإمام الشاطبي في كتابه العظيم الموافقات. فالإمام الشاطبي يقول إن هذه الشريعة المباركة عربية لأن القرآن الكريم عربي ثم يقول إن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك معنى أمية تعني أنها فطرية لا تقصد إلى التكلف ولا إلى

التعقيد وليس معنى أمية أنها ستبقى أمية إلى يوم القيامة على العكس الكتاب الكريم جاء ليحول هذه الأمة التي لا تكتب ولا تحسن لكن الأصل فيها هذه الكلمات التي يحاول أن يفهمها لازالت على أمة الأمية فكانت خالية من التعقيد خالية من المصطلحات الغليظة خالية من كل ما يوجد به التباس لذلك ينبغي أن نفهم هذه الشريعة بعودتنا إلى تلك اللغة الأمية وتلك اللغة العربية.

من الأمثلة البسيطة التي كانت تخطر بالبال قضية القصاص كلمة القصاص كلمة مشتركة ولذلك يفهمها أو يخطئ فهمها بعض الناس لبعض المواقع فبعض النصوص يكون التركيز عليها الله سبحانه وتعالى يقول كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم إن كنتم تعلمون ويقول سبحانه وتعالى: ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب. المعنى الشائع المتعارف عليه عند الناس وحتى عند كثير من العلماء أن القصاص هنا في هذه الآيات يقصد به أن يقتل القاتل أو يقصد به أن يقاد من القاتل وأن هذا قتل القاتل هو الذي فيه حياة الأمة والمجتمع. معنى القصاص المفهوم من هذه الآيات وغير ذلك لأن القصاص الذي كان يتعارف عليه وقت النبي ﷺ هو غير ذلك لكن أنا عثرت على قصاصة لصحيفة يمنية تتحدث عن حادثة بين قبيلتين من القبائل اليمنية اجتمع شيوخ القبيلتين وجلسوا معاً وقالوا يكفي هذه الحرب التي هي بيننا القتل الفلاني من قبيلتنا يقابل القتل الفلاني من قبيلتكم والقتل الفلاني يقابل القتيلة

الفلانية من قبيلتكم وهكذا وتصافوا. النهاردة يقابلها هذا، وهذا هو القصاص في القتل
القبيلة اليابانية مازالت سائرة على هذا الخط من الأمين، القصاص في القتل هو هذا حينما
يستحر القتل بين القبائل يتوقفون ويحاولون المقاصة وهذا القصاص يعني المقاصة هذه المقاصة
أن فلان يقابل فلان لذلك قال الله سبحانه وتعالى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فليس
معناه أن الحر لا يقتل والعبد لا يقتل والأنثى لا تقتل لا كل واحد منهم يقتل بالآخر وهذا معناه
أنه ليس المقصود هنا أن يقتل واحد دون الآخر وإنما المقصود أن نوازن ونعتبر أن هذا مقابل
هذا الآخر هذه المقاصة التي تنهي النزاع نحن حصل من القتل ما يكفي والدليل على ذلك أن
صحيح أن في آخر العمر قد تبقى هنالك زيادة ماذا يقول الله عز وجل اتباع بالمعروف وأداء
إليه بإحسان يعوض عنها بديات أو ما شابه ذلك وينتهي الموضوع ولذلك لهم في القصاص حياة
ولو كان القصاص هو القتل مقابل القتل ما كان في القصاص حياة الحقيقة القصاص المقصود به
هنا هو هذا الشيء وهو لا يعني أن القصاص معناه فقط هذا هو المعنى الأصلي السائد المتفق
عليه لكن في الحديث الصحيح النبوي أن أخت الربيع قال النبي ﷺ استنكره قال يا ربيع
القصاص كتاب الله قصاص وهذا دليل على أن القصاص يستعمل أحياناً في هذه الظروف ما
دون الحياة يستعمل القصاص في المعنى الآخر الله سبحانه وتعالى أنزل لذلك قال النبي ﷺ من
الناس من أقسم على الله فقال النبي ﷺ إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأراد فإذن
هذان معنيان بالقصاص لا ينبغي أن نضع هذا في المعنى هذا أو العكس في ما دون الحياة كاملة
القصاص هو العقوبة المقابلة مثل قضية كسر السن أو ما شابه الله سبحانه وتعالى يقول

والجروح قصاص لكن القصاص في القتلى شيء آخر لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يبالغ في القتل ولذلك حتى قتل العم الله سبحانه وتعالى بماذا أوصى الأولياء من قُتل مظلوماً قد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً فإن الله سبحانه وتعالى يوصيه أن لا يسرف في هذا العمل الإسراف ليس معناه أن يقتل أكثر من واحد لا يسرف في إقامة هذا القتل والأفضل أن لا يقتل أن يقبل ويطيع بهذا الشكل.

هذا مثال ومثال آخر مشكلة من المشكلات التي ثارت وما زالت تثور في بعض البلدان ونلاحظ أن كثير من المفتين يصعبون على الناس هذا الأمر وهي قضية من أين يحرم القادم إلى مكة من خارج مكة عن طريق الجو هذه الشريعة الأمية وجد فيها نص يدل على أولئك الذين يأتون عن طريق البر فوقف النبي ﷺ مواقف ثم مواقيت في الأماكن هذه الأماكن لا يحل للمرء أن يتجاوزها هي ذو الخليفة وقبل المنازل ثم اجتهد سيدنا عمر فأضاف إليها ... هذه المواقيت قال عنها النبي ﷺ هن مواقيت لأهلهم في هذه القرى ومن أتى عليهن من غير أهلهن هذا النص في الكلام الذي نزل على رسول الله ﷺ في الكلام الذي كان يتكلم به رسول الله ﷺ لا يعني أن يمر الإنسان كما يمر الطائف منذ عشرات الأميال هذا لا يقال له أتى عليهم اللغة التي نزل بها القرآن مثلاً حتى إذا أتوا على واد النمل قالت أتوا على واد النمل يعني كانوا ماشيين وصلوا إلى وادي النمل ولقد أتوا على القرية فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أتى على يجب أن تكون عليه مباشرة حتى الريح العقيمة أتت عليه لجعلته مش شايف في الأعالي أنه ليس

بأتى عليهم فلذلك هؤلاء الذين يمرون بالطائرة لا ينطبق عليهم بلسان عربي الذي نزل على رسول الله ﷺ به القرآن لا ينطبق عليه معنى أتى عليهم لذلك في حديث سيدنا سليمان حينما أرسل الهدد وحينما ذهب الهدد دائماً كان الحديث عن ألقه في الليل ألقى إليه هذه إلقاء وليس قضية إتيان وآتيت عليه بقاعتهم الملكة قالت أنه ألقى إلي كتابه الكريم وسيدنا سليمان قال اذهب بكتابها فسألني عليك وهناك تعبير غير التعبير الآخر ولذلك فالموضوع لا يحتاج إلى كثير من العناء والاجتهاد فمن أتى بهذه المواقع فعليه أن يحرم منه مر بسواها فليس عليه أن يحرم منه والذي يأتي بالطائرة النبي ﷺ لم يوقت بالغرب لأن في ذلك الوقت وقت النبي ﷺ لم يكن هناك مسلمون غرب غربي البحر الأحمر ولذلك النبي ﷺ كان من عادته أن لا يستبق الحوار وكان يمنع عن استباق الحوار فإنما أهلك الذين من قبلكم كفعلكم واختلاف على أنبيائكم فما أمرتكم ونهيتكم عنه فدعوه وما أمرتكم به فافعلوه ما استطعتم فلم يكن يحب هذا ولم يكن يحب نقاط للذين يأتون الغرب فالذين يأتون من القاهرة وهؤلاء يأتون البجدة ليس لهم نقاط محددة حددها النبي ﷺ لو مروا من الأرض أو من الجو فالأفضل لهم وقد اختلفوا في ذلك الشيخ عبد الله رحمة الله عليه وهو كان أول من فتح معركة في هذا الموضوع وبعد ذلك الحمد لله بهذا الكلام وقال أن المسافرين عن طريق جدة ينزل في المطار ويحرم ثم يحرم في جدة كما يحرم جميع الذين هم ضمن إطار المواعيد هؤلاء يحرمون من حيث هم حينما يريد أن يتجه إلى مكة فيحرم من حيث هو كذلك أهل مكة يحرمون من مكة أو على أكثر في منطقة التتعيم لكن المدن من منطقة الحرم. هذا مثال آخر مثال ثالث ما دمنا نتحدث عن الدولة الحديثة والدولة القديمة

موضوع كتبتة في يوم ما بعنوان يوم الصوم وشهر الصوم قضية صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته هذه المشكلة التي نتعرض لها كل عام مرتين على الأقل والتي اقترب تعرضنا لها على حسب الوقت. ليس السبب هو الاقتراب وإنما تعاني نفس المشكلة فالذي كتبتة أنا أنه في الصيام في رمضان بدايتان ونهايتان بداية يوم الصوم وبداية شهر الصوم ونهاية كل منهم وما كان الله أن يدعو المؤمنين حتى يبين لهم كيف يحددون البدايتين والنهايتين وقد كان ذلك بأمر الله وفضله أما يوم الصوم فبدايته ونهايته محددتان تحديداً مفصلاً بالقرآن الكريم بداية حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ونهاية ثم أتموا الصيام إلى الليل والسنة شرعت ما هو المقصود بذلك كما قلنا في المرات الماضية السنة هي التي تبين الله سبحانه وتعالى قال ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليك بداية في الحديث الذي رواه الشيخ علي بن حاتم إنما هو سواد الليل وبياض النهار وشرح إذن ما هو المقصود بتغير الخيط الأبيض من الخيط الأسود والنهاية بحديث سيدنا عمر في الصحيحين إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وبردت الشمس فقد أفطر الصائم إذن في نص القرآن وبين ذلك وفصل أكثر في الأحاديث البداية والنهاية بداية يوم الصوم ونهاية يوم الصوم بداية شهر الصوم الآن أي هي محددة بالأحاديث الصحيحة صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن هم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين في رواية أخرى لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له.

لماذا أتيح هذا المثال للمخطيء رأي رأي والرؤية من الألفاظ المجملة هذه الألفاظ التي تشترك فيها المعاني تحتمل أكثر من وجه فكان لابد لمعرفة المراد بها من قرينة توضح ذلك هذه القرينة الموجودة بفضل الله في آيات الصيام التي ذكرناها حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود إذن فالرؤية في حد ذاتها لا تكفي يعني الله سبحانه وتعالى لم يقل حتى تروا الخيط الأبيض من الفجر لكن قال حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود في الفجر فالقضية قضية تبين تتبع إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا إذن التبين هو هذا التثبت الذي يصل بالمرء إلى درجة اليقين أو إلى ما يشبه اليقين لأن الشيء أقرب ما يكون إلى اليقين الأرقام المعروفة في الانتخابات المعاصرة، أما مجرد الإبصار بالعين هذا قد يكون توهماً الله سبحانه وتعالى يقول: يرونهم مثليهم رأي العين يعني المشركون يرون المسلمون ضعفيهم رأي العين وكذلك فإن الرؤية في حد ذاتها مجرد الرؤية لا تكفي الرؤية قد يكون فيها توهم إذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً هذا للمؤمنين وذلك للمشركين فكلاهما يمكن أن يتوهم فإذا التوهم وارد بالنسبة للرؤية كثيراً والتوهم يبعد الأمور عن اليقين والمطلوب في هذا الأمر اليقين أو ما هو قريب من اليقين ولذلك وضع الله سبحانه وتعالى كلمة تغيب إذن الرؤية في حد ذاتها لا تكفي مجرد الرؤية وإنما يجب أن تكون هذه الرؤية متيقنة بقدر الإمكان طبعاً الله سبحانه وتعالى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها اتقوا الله ما استطعتم في الوقت الذي لم تكن بين أيدي الناس وسائل يستطيعون بها أن يتيقنوا أكثر مما شاهدوه من أعينهم لا نطلب منهم أكثر من ذلك لكن إذا صار في متناول الناس

ما يستطيعون به أن يتجاوزوا ذلك لما وضع أكثر تيقناً فعليهم أن يتخذوه يعني إنسان عادي رؤيته ضعيفة لا يستطيع بلا نظارة أن يرى بوضوح فلم يستطيع أن يرى الهلال هذا عليه حتماً أن يضع نظارته حتى يستطيع أن يرى رؤية صحيحة إذا كان في متناوله نصارة تلسكوب هذا عليه واجب أن يستعمل هذه النظارة وأن ينظر إلى الهلال بهذه النصارة فإذن كل ما كان لديه وسيلة أكثر للتحقق للتبين عليه أن يستعملها. الآن نحن في زماننا هذا الحساب الواسطة اليقينية وغلط لا يتجاوز واحد بالمئة ألف من الثانية ولذلك في هذه الحالة يجب أن ينبغي أن نعتمد على الحساب وهو ما ذهب إليه عدد من الفقهاء الأذكياء في زمن قديم أولهم أبو العباس ابن سريج من الشافعية ثم السبكي وأكثرها في فقهاء الشافعية هم الذين تخيلوا من هذا الملمع وبعض الفقهاء الآخرين من الأحداث.

طبعاً بالمناسبة أحب أن أقول إن الحساب لا خلاف بين أحد من المسلمين في أن الحساب يؤخذ به في العبادة أهم من الصيام وهي الصلاة لأنها كل صلواتنا قائمة على الحساب ولو إنساناً جاء فقال إنني رأيت أن الخيط الأبيض افترق عن الخيط الأسود وكان ذلك في موعد يختلف عن ما هو مكتوب في التقويم لم يصدقه أحد ولم يأخذ بكلامه أحد إذن نحن نأخذ بالحساب ولا نأخذ بالرؤية في الصلاة في نفس رمضان ولكننا في بداية رمضان ونهاية رمضان لا نأخذ إلا بالرؤية وهكذا.

أخونا الحبيب نعره ونقدره كان في إحدى الفضائيات سأله أحد الناس ويتحدث عن السيدة مريم وسأل السيدة مريم نبيه قال لا وذكر شيئاً أن المرأة لا تكون نبيه وشيء من هذا القبيل مع أن القرآن الذي يقرأه واضح جداً في الموضوع والآيات تذكرونها من أول سورة مريم الله سبحانه وتعالى يقول واذكر في الكتاب مريم كما يقول واذكر في الكتاب إبراهيم اذكر في الكتاب موسى اذكر في الكتاب إسماعيل اذكر في الكتاب إدريس أولئك يعني المذكورون أعلاه أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين فأولئك كيف نستخرج منها الأولى التي ذكرت واذكر في الكتاب مريم هذا القرآن البسيط هو الذي يمثل هذه اللغة لغة الأميين التي نزل بها القرآن لا يحتمل استبعاد السيدة مريم من هذا السياق لأن السياق يقول أولئك وكلهم ذكروا نفس الطريقة واذكر في الكتاب أولئك الذين أنعم الله عليهم من الناس. هذا مثال

موضوع مهم جداً وهو موضوع التأويل وهذا موضوع جديد تحدث فيه الإمام كثيراً ولعلنا نتكلم فيه ما الذي تعنيه كلمة التأويل طبعاً هذا البحث يأتي بمناسبة سورة آل عمران الآيات الأولى من سورة آل عمران هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخرى متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب. بعض العلماء ومنهم بعض العلماء الأعلام من التابعين يققون والراسخون في العلم كلهم

لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا والراسخون في العلم لا يعلمون. العلم هو الإيمان وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أخذ إليهم إذن العلم هو دليل على الإيمان دائماً هؤلاء الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربي ما الذي يعنيه المحكم والمتشابه وما الذي يعنيه التأويل التأويل كلمة مع الأسف أسيء استعمالها كثيراً لأنه حول هذا المعنى منذ القديم بعض المتفهمة والمتفلسفة والمتكلمة إلى آخره، استعملوا هذا المعنى في هذه الكلمة في معنى آخر غير ما وردت به في القرآن الكريم وبعض العرب استعملوها في معنى وارد في هذا الزمان وهو التفسير فنجد من بين الكبار شيخ المفسرين ابن جريدة الطبري يقول القوم في تأويله تعالى كذا وكذا إذن هنا يستعمل التأويل بمعنى التفسير قال أهل التأويل إذن لدينا هذا المعنى الأول الذي هو التفسير ولدينا معنى آخر وهو المعنى المصرخ هذا عن ظاهر معناه لطيل بعض الناس هذا التعريف الأخير هو متأخر عن عصر الرسالة أو حتى عن عصرين أو ثلاثة بعدها هذا مصطلح طرب وليس له علاقة. ولكن هذا هو المعنى الأكثر شيوعاً في وقتنا الحاضر شاعر بصورة خاصة عندما ازدهر علم الكلام وعلم الكلام هو هذه الإسلامية التي أنشئت للدفاع في مقابل الفرسية الإيمانية التي أقبلت للبلدان الإسلامية لما تحمله من تراث كبير لأن في ذلك العصر اشتغلوا وتعمقوا في هذه الأشياء النظرية وأضاعوا جولتهم فيها فقلدهم المسلمون وأفادوا بلادهم. هذه الأمور التي تسمى الأمور الكلامية في مصطلح علماء المسلمين حينما شاعت وعمت وتجددت بدأ هذا المصطلح يدنو هذا النحو ويستعمل كلمة تأويل في هذه المعاني.

في هذه المرحلة بدأت كلمة التأويل تأخذ هذا المعنى الذي هو صرف الكلام عن بعضه، لكن ما هو التأويل حقيقة؟ التأويل آتي من كلمة أول، أول شيء لشيء آخر فال تأويل معناها تحول إلى أو صار إلى هذا الشيء فالإمام تيمية يقول إن التأويل في عرف المتأخرين المتفقه فيكون مصدر الشبهة الاشتراك في التأويل فله مشترك فإن التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمتحدثة والمتصورة هو صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح في دليل يتجه هذا هو التأويل الذي تتكلمون عنه في أصول الفقه وخلافه فإذا قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول ومحمول على كذا فلآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى جديد إلى آخره.

نتوه عليهم إذا كان يبين احتمال المطلوب الذي ادعاء أكثر حجية من الآخر. أما التأويل في لفظ السلامة هذا إنما يسرناه بلسان فله معنيان أحدهما تفسير الكلام المعنى الثاني في رفض السلام وهو المعنى الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المرادف في الكلام هذا هو نفس المرادف في الكلام هذا هو معنى التأويل، التأويل هو المرادف في الكلام هو تحقق هذا الشيء ومعنى الكلام نوعان إنشاء وقدر وإنشاء يدخل فيه الأمر يعني الجمل التي نستعملها الكلام الذي نستعمله ومنهما نخبر به الكلام الذي نستعمله منهم نخبر به الكلام الذي نستعمله وطلعت الشمس هذا خبر ومنهم من هو إنشاء وتعليمات على سبيل المثال أو أمر أو نهى فقط لدينا نوعان من

هذا الكلام إما أن يأمر بشيء أو ينهى عن شيء. فكلاهما إذا كان أمراً إذا كانت فيه هذا الأمر قد تحقق هو التأويل وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم كثيراً من الآيات أو النصوص التي وردت فيها كلمة التأويل فهماً صحيحاً وعلى هذا الأساس سيدنا يعقوب يقول لابنه لسيدنا يوسف وكذلك يشتريك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث وكلمة تأويل أكثر ما وردت في سورة يوسف ودخل معه السجن فتاين قال أحدهما إني أراني أعصي أمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً جنناً بتأويل إنا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعاماً ترزقان به إلا نبأكما بتأويل من قبل أن يتيا بلى قالوا لفرعون وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين قال الذين جاءوا بما ودتهم وأنا أنبئكم بتأويل فأرسلوا حينما دخل أبواه وإخوته ورفع أبواه عن العرش وخرجوا لهم سجداً وقال يا أبتى هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، هذا تعريف التأويل تعريف التأويل قد جعلها ربي حقاً إذاً التأويل هو التحقق بالنسبة للخبر لأن المنام نوع من الخبر فإذا تحقق هذا الحلم أو تحقق هذا الخبر أو هذا الحلم بشكل من الأشكال فهذا هو التأويل إذا كان أمر من الأمور فيه أمر فيه نهي هذا تحققه هو التنفيذ تنفيذ هذا الأمر، الله سبحانه وتعالى يقول فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله وباليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً هذا التأويل إن كنا نؤمن بالله وباليوم الآخر فعلينا أن نرد هذه الأمور إلى الله والرسول فإن فعلنا ذلك فهذا هو تأويل ما أمر به الله عز وجل لأن الأمر يأول بالتنفيذ والخبر يؤول بالتحقق، أحياناً يكون تأويل عمل أو قول على سبيل المثال في قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً عندما ذكر له كل هذه الأحداث وأسبابها قال

ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ولذلك الله سبحانه وتعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله بعض الأحاديث على سبيل المثال أحاديث الساعة أشرط الساعة التي يذكرها النبي ﷺ مادامت هذه الأشرط لم تأت كثير من الناس يكذبون بها لأنهم لا يؤمنون بالغيب فهؤلاء ينتظرون حتى يروا هذه الأشياء بأعينهم هذا هو التأويل التأويل هو تحقق هذه الأشياء أن يروا الدابة، الأشرط التي جاءت في القرآن الكريم يعني حتى غير الأشرط التي ذكرها النبي ﷺ أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم هذه الأشرط أشرط الساعة كثير من الناس لا يصدقون حتى يروا هذه الأشياء متحققة هذا هو التأويل ولذلك قال سبحانه وتعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله هذا التأويل سيأتي هذا التحقق سوف يأتي وعند ذلك، فالراسخون في العلم يقولون أمانا به كل من عند ربنا هذه الآيات إذا منها محكم ومنها متشابه المتشابه هو الذي بدأنا الحديث عنه منه المشترك المشترك هو نوع من المتشابه والمتشابه منه ما كان في الدنيا فرق بعيد واحد يشبه سن الفيل بسن الفأرة هذا سن وهذا سن ولكن الفرق كبير جداً هذا متشابه لكن هذا ليس متماثلاً وهذا هو الفرق بين المتماثل والمتشابه هذا من دقائق هذه اللغة التي تصر على التفريق بين الأمور الدقيقة جداً ومن محاولات التأويل المنحرف الناجمة عن عدم الفهم الصحيح لمعنى التأويل مثلاً أهل نجران عندما جاؤوا للنبي ﷺ فحاولوا أن يأولوا قوله تعالى إنا ونحن على إنها تدل على التثليث باعتبار إنا ونحن ضمير جمع والجمع أقله ثلاثة فقالوا هذا دليل على التثليث هؤلاء طبعاً تأولوا إنا ونحن من المتشابه فيراد بها الحديث عن الواحد دون الجماعة ويراد بها الإنسان المعظم نفسه يتحدث بصيغة الجماعة وكانت المراسم

تذكر في مصر إنا نحن فاروق الأول ملك مصر فهذا من المتشابه أيضاً أسماء مشتركة، طبعاً الله سبحانه وتعالى لا يريد منا أن نبتعد عن فهم هذا المتشابه فهو لم ينهنا عن فهم هذا المتشابه بالعكس الله سبحانه وتعالى قال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته تدبر الآيات لا يكون إلا عن فهم ويجب أن يكون هنالك فهم للآيات إذاً هذا مطلوب فليس مطلوباً أن يبتعد الإنسان عن فهم هذا المتشابه الله سبحانه وتعالى ذم من ذم الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أو ابتغاء التأويل هذا شيء مذموم أما الذي يتبع من أجل أن يعرف المعنى الحقيقي لها فهذا غير مذموم التأويل بمعنى كيف تتحقق هذا لا يعرفه إلا الله عز وجل لا يعرف إلا إذا حصل أما ما لم يحصل فلا يعرفه إلا الله عز وجل، فإذا هنا إذا كان هو يبحث عن تحقق هذا الشيء عن تأويله بمعنى التحقق فهذا شيء لا يعرفه إلا ربنا عز وجل أما إذا بحث عن المعنى عن التفسير فهذا أمر مطلوب ومحبيب وعلى المرء أن يبحث وأن يتعلم حتى يصل إلى الحقائق أعتقد أنني أطلت بما فيه الكفاية وأثقلت بما فيه الكفاية لو كان هناك بعض التعليقات أو الأسئلة مستعد للإجابة.

س: لو سمحت مسألة القصاص هل هناك اعتراض من قسم اللغة على ما يصنعه من

تسمية قتل القاتل قصاص؟

ج: أعتقد أن فيه اعتراض من ناحية القرآن، يسمون قتل القاتل قصاص، قتل قصاصاً هل هذا لا يتفق مع اللغة لا لا يمكن أن يتفق مع اللغة ولكن ليس هذا هو ما استعمل بهذه الكلمة في القرآن أما القصاص هو أي مقاص تسمى قصاصاً وقتل القاتل يسمى قصاصاً ما فيه مشكلة حتى الرسول كتاب الله قصاص والجروح قصاص ما ورد في كتاب الله عن القصاص هو الجروح قصاص لأن لم يرد في كتاب الله أن القتل قصاص، القصاص في القتل هو إيقاف القتل وليس مواصلة القتال، قتل القاتل تسمى قصاصاً أم لا هذا سؤال؟ يعني هناك وجه لتسميته قصاصاً ولكنها مخالفة للسياق القرآني القرآن لم يستعملها لهذا الشيء استعملها فقط للجروح.

س: الموضوع الثاني موضوع علم الكلام طبعاً إخواننا المتكلمين يقولوا علم الكلام هو علم الدفاع عن العقائد الإيمانية ونحن في دراستنا كل العلوم الإسلامية نأخذ منها ما فيها من خير نترك ما جرى عليها من ظلم أو انحراف أو تزيف،

ج: يعني جزاكم الله خيراً فهذه تنبيه مهم جداً فإنني لا أقصد ذلك إنما أقصد أن الطريقة التي استعملوها هم استعملوا نفس طريقة المتفلسفة الإغريق وهذا كان شيئاً طبيعياً في ذلك الوقت ولكن هذا الرد شوش عقول الناس الآخرين الذين ليس لهم هذه المشكلة أصلاً لأنه بعد ذلك صرنا نعلم هذا العلم لأبنائنا حتى يستطيعوا أن يجاهدوا فيه هذا التعليم فنأتي إلى ناس مؤمنين

فحاول أن ندخل هذه الأشياء في عقولهم هذا كان يولد شيئاً من التشويش لا داعي له وخاصة أن اللغة التي كان يستعملها الفلاسفة الإغريق وللأسف مازالت مستعملة حتى اليوم أدخلت على لغتنا مصطلحات عجيبة جداً لا يعرفها الإسلام إلا يعرف شيء اسمه واجب الوجود هذه الأشياء كلها دخلت مع الفلسفة الإغريقية والإسلام ليس هنالك شيء فهذا الذي عنيته في الموضوع الذي يؤلمني أن هذا العصر الذهبي الذي نقول عنه العصر الذهبي الذي دخلت فيه هذه الأشياء كان عصراً مفصلياً تماماً دخول الفلسفة اليونانية أدى إلى شل جزء كبير من العقول في الاشتغال بهذه الأمور وغض النظر عن العلوم التطبيقية التي كان من الممكن أن تتطور منذ ذلك الوقت ولكن انشغل المسلمون في شيء اعتبروه أهم منها وهو وهذا الخطر لم يكن الخطر وافداً عليهم لأن الإغريق لم يأتوا فيفتحوا وإنما كتبهم وترجماتهم هي التي أتت فكان من الممكن أن تعالج بطريقة أخرى ولا نضع أنفسنا حكماً على أناس من قبل والقضية الأخرى هي قضية شل نصف المجتمع الذي هو المرأة شللاً كاملاً منذ ذلك الوقت أيام العباسيين وظل هذا الشلل قائماً حتى عصرنا هذا فهذا المجتمع نصفه شل بفضل ما دخل إليه من الحضارة المشرقية يعني الفرس ومن وراءهم من سوء معاملتهم للمرأة وإهانتهم لها ونصف العقل شل بفضل هذه الحضارة الغربية التي أتت من الإغريق إذا بقي هذا المجتمع أشل من ثلاثة أرباع الشلل ولذلك وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

س: السلام عليكم عندي سؤال بالنسبة للقصاص إذا ما كان معنى القصاص في

الآية القاتل يقتل فإذا مثلاً حر قتل عبد أو أنثى قتلت حر أو هكذا كيف تحدد من قبيلة فلان من قبيلة فلان

ج: شيوخ القبائل عادة يبدأون إذا وجد أعداد متكافئة من الرجال مقابل النساء تحدد إذا صار

فيه أشياء متفاوتة فممكن، لو الاثنين قتلوا استعمال القرآن في معنى لا يمنع استعماله في بقية المعاني التي استعملتها اللغة، تتسع اللغة بعدة معاني لا يعني هذا فصل المعنى بعد نزول القرآن على ذلك الذي ورد فيه، أنا ما قلت هذا أنا قلت في القرآن الكريم استعملت كلمة القصاص بالنسبة للقتلى يعني للروح للنفس كاملة لم تستعمل إلا في معنى الذين قتلوا بينما للجروح فجرح مقابل جرح هنا إذا قصاص استعمل القصاص بمعنيين.

س: كأن القصاص في ذلك العصر كأنه الثأر؟

ج: لا مو الثأر هو القصاص هو محاولة امتصاص الثأر إنما القصاص من الدولة تعاقب

القاتل بالقتل فهذا يخفف من عملية الثأر فلو ما حصل الناس بتكثر فيهم عملية الثأر، الثأر مازال مع الأسف، الحد ما فيه حد في القتل هذا متروك لولي الأمر فالقاتل ما إله حد هذا متروح للولي ببسموه ولي الدم ولي المقتول فله أن يعفوا والله سبحانه وتعالى يحرض على العفو وله أن يقتل

فهذا ما هو حد الحد هو الذي تنفذه الدولة فالقتل الذي تقضي به، حق الدولة أن تعاقب
تعزيراً لكن ما هو حد.

س: بالنسبة لقضية المتشابه

ج: الأشياء هذه تلتقي مع قضية نقل الفلسفة اليونانية هذه الأشياء بدأت تطرأ في وقت ليس
من جراء نقل الفلسفة اليونانية لكن بدأت من قبيلها بقليل وما زالت مع الأسف، هذا تضويغ عقول
المسلمين وطاقاتهم في ما لا ينفع على الإطلاق في أحد الملوك أتاه واحد ألقى إبرة ثم أخرى
فوقعت في خرم الإبرة الثانية حتى أكمل المئة فقال أعطوه مئة درهم وأجلدوه مئة جلدة قالوا
الجلد ليش قالوا أضعت وقتك فيما لا يفيد صحيح هذا عمل متقن أعطاه أجر عليه ولكن بالمقابل
أضاع الوقت.

س: بالنسبة لمريم حضرتك تقصد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم، أدخلها

في ذرية الأنبياء وبالتالي تنطبق عليها لكن هو المشكل هو قضية الوحي؟

ج: أولاً قضية الوحي فتعريف النبي حينما نسأل عن تعريف النبي نلاحظ أن النبي يأتي إليه

الملك والسيدة مريم أتها الملائكة قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك كمان

الاصطفاء إن الله اصطفاء وطهرك واصطفاك على نساء العالمين إذا اصطفاء على نساء

العالمين خاص واصطفاء عام فقضية الاصطفاء لرسول الله عز وجل ما أرسلنا من قبلك رجالاً نوحى إليهم الرجال في القرآن الكريم في لسان العرب الذي نزل به القرآن لا يعني فقط الذكر وإنما يعني الإنسان مثل كل اللغات بالإنكليزي MAN تعني الرجل الذكر أو الإنسان أم بالفرنساوي ووم بالاطلياني من بالألماني فيها نفس المعنى وهذا من العجيب المشترك بين اللغات جميعاً فالرجال لا تعني فقط الذكر فحينما يقول الله عز وجل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فلا يعني ذكور ويسبح له فيها بالغدو والأصال رجال مو معناها الرجال الذكور لذلك النبي ﷺ في الحديث في الصحيحين ألحقوا الفرائض بأصحابها فما فضل فلأولى رجل ذكر لماذا قال رجل ذكر لأن الرجل معناه الإنسان والذكر لتخصيص الجنس. في سورة النساء عندما يذكر الاثنان معاً عند ذلك يصير.

س: يعني السيد مريم من الأنبياء

ج: الله قال من النبيين وهذه كلها طبعاً في ناس يقولوا أهمية الركوع واركعي مع الراكعين للسيدة مريم نفسها ففي لغة العرب في نوعان من الخطاب خطاب للإناث وحدهن وخطاب للذكور والإناث معاً لا يوجد خطاب للذكور وحدهم أبداً إلا بقليل والخطاب العادي هو للإناث والذكور معاً ولذلك لما الله يقول وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، الذين يأكلون الربا هؤلاء للرجال

والنساء معاً إلا إذا وردت قرينة تدل على استثناء النساء منه فلذلك الراكعين والنبیین
فذلك مقصود فيهم مجموعة الرجال والنساء.

س: في قصص الأنبياء لم يرد ذكر اسم السيدة مريم يعني في شبه إجماع،

ج: هو شبه إجماع كما قلت لأن بعض العلماء من قديم قالوا بهذا أهل الظاهر قالوا بهذا هذا
مذهب أهل الظاهر في نساء نبيات وبصورة خاصة بيعدوا منهم مريم بنت عمران وآسيا امرأة
فرعون وأم موسى هؤلاء بيعتبروهم نبيات بنص القرآن لأنه مع نوع من المنطق وهم لا
يوافقون على استعمال المنطق بالنسبة للسيدة مريم قطعاً باعتبار أن هذا فيه نص صريح
وواضح دون حاجة إلى استعمال المنطق أو تشغيل الذهن بأشياء إضافية أما أن يقوم مثلاً أم
سيدنا موسى يعني الآن أي واحدة تمسك ابنها وترميه في الماي بيمسكوها بيحاكموها تعتبر قاتلة
لولدها فلو ما كان فعلاً وحي فما كان الله يقبله ويثني عليه فهذا معناه نبوة نفس الشيء امرأة
فرعون وبعدين النبي ﷺ يقول عن امرأة فرعون وعن السيدة مريم نوع من الكمال والاصطفاء
إلى آخره يعني أهل الظاهر يذكرون هؤلاء النساء الثلاثة.